



شخصية الداى حسين بين كتاب المرأة و مذكرات الشريف الزهار (1830-1818)

The character of Dey Hussein between the book of the mirror and the
(memoirs of Sharif al-Zahar (1818-1830

ياسين بودريعة

الجامعة: البويرة

البريد الإلكتروني: boudriayacine@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2019-11-11

تاريخ الاستلام: 2019-07-30

الملخص بالعربية:

تعد المذكرات الشخصية أحد أهم أدوات كتابة التاريخ، كون أنّ أغلبها تصدر عن أناس صنعوا الحدث. و في الجزائر العثمانية فإنّ هذه النوعية من المصادر قليلة جدا. لذلك وجب البحث في ثنايا بعض المصادر من أجل استخراج ما يمكن اعتباره مذكرات و سيرة ذاتية. هذا ما لاحظناه في كتاب المرأة لحمدان بن عثمان خوجة و كتاب أحمد الشريف الزهار. حيث تحصلنا على نصوص من هذين المصدرين هي عبارة عن مذكرات. من أجل هذا قمنا باستغلال ما ورد من مذكرات من أجل معرفة رأي هذين المؤلفين في شخصية الداي حسين آخر حكام الجزائر العثمانية.

Abstract

Personal memos are one of the most important tools for writing history, since most of them are made by people who made the event. In Ottoman Algeria, these kinds of sources are very few. Therefore, research should be carried out in the context of some sources in order to extract what may be considered memoirs and biographies. This is what we noticed in the mirror book of Hamdan bin Othman Khoja and the book of Ahmed al-Sharif Zahar. Where we get texts from these two sources are notes. For this purpose, I have used the notes in order to find out the opinion of these authors in the personality of the late Dai Hussein, the rulers of Ottoman Algeria

الإدارة الجزائرية أحدهما كان في وظيفة الخوجة، و الثاني كان نقيباً لأشراف الجزائر. بالإضافة إلى ذلك فإنّ أحدهما يمكن اعتباره عثمانياً رغم انتماءه إلى فئة الكراغلة، و الثاني محسوباً على فئة الحضر كونه ينتمي إلى عائلة الزهار.

كان تناول المؤلفين لشخصية الداي حسين متناقضاً. فقد قام الزهار بوصفه بأبشع النعوت، ويبدو أنّ العلاقة المتوترة بين الحكام العثمانيين و الرعية قد أثرت في أحمد الشريف الزهار بدليل إشارته في كل خاتمة كتابه إلى أسباب زوال الملك و غيرها، و فيما يخص حمدان بن عثمان خوجة فيبدو أنّ أصوله العثمانية قد أثرت عدم إصدار أحكام سلبية ضد هذا الداي وقد كان باستطاعته أن ينتقده بأبشع الأوصاف خاصة أنه قام بإصدار كتابه بعد سقوط مدينة الجزائر ونفي الداي.

على هذا الأساس أردنا معالجة إشكالية شخصية الداي حسين، من خلال مذكرات أحمد

مقدمة

يعد كتابي المرأة لحمدان بن عثمان خوجة و مذكرات لأحمد الشريف الزهار من أهم مصادر تاريخ الجزائر العثمانية و هذا لكون صاحبي المصدرين الأنفي الذكر كانا شاهدي عيان على أهم محطة في تلك الفترة و المتمثلة في احتلال مدينة الجزائر من قبل الفرنسيين حيث نجد أنّ هاتين الشخصيتين قد لعبتا دوراً في الأحداث التي صاحبت الاحتلال أو الفترة التي أعقبت سقوط مدينة الجزائر و بعض المناطق الجزائرية في يد الفرنسيين. سواء بالمقاومة المسلحة التي انخرط فيها أحمد الشريف الزّهار، أو المقاومة السياسية-إن صح التعبير- التي إنتسب إليها حمدان بن عثمان خوجة.

ويمكن اعتبار هذين المصدرين كتابة شخصية في بعض جوانبهما. كونهما قدما وجهة نظرهما حول بعض الأحداث التي عايشاها، خصوصاً فيما يتعلق بفترة الداي حسين آخر حاكم عثماني بالجزائر. و تظهر أهمية الملاحظات التي قدماها كونهما كانا موظفين في

ثلاث سنوات⁴ ثم عاد إلى الجزائر برفقة الحاج قدور و محمد حيث تولى نقابة الأشراف تحت الإدارة الفرنسية إلى غاية وفاته عام 1872 م.⁵

2-1- حمدان بن عثمان خوجة:

ولد حمدان بن عثمان خوجة في حدود عام 1773 م.⁶ وهو ينتهي إلى فئة الكراغلة وأسرة عريقة ميسورة الحال، لها أراضي وأملاك شاسعة. وقد نشأ في بيت ذي علم وجاه⁷، فخاله كان موظفا كأمين للسكة وهي وظيفة هامة حيث يعمل مع الخزناجي مباشرة⁸، أما أبوه فقد كان فقها ومدرسا بالإضافة إلى كونه كان مشرعا وأستاذا بالقانون مما أهله أن يتبوأ منصبا

الشريف الزّهار، و كتاب المرأة لحمدان بن عثمان خوجة. و ذلك التناقض الكبير في تناول الكاتبين لهاته الشخصية. فرغم أنها كانا موظفين في الدولة الجزائرية و من أعيانها. إلا أنه كان لكل واحد منهما موقفا من الداي فهل كان الانتماء العرقي-العثماني الجزائري-بين الكاتبين دورا في تحديد هذا الموقف.

1- شخصية و تعريف:

1-1- أحمد الشريف الزهار:

ولد أحمد الشريف الزهار عام 1781 م في عهد الداي محمد بن عثمان باشا من عائلة جزائرية تنسب إلى الأشراف، تولى نقابة الأشراف بعد وفاة والده¹، تعرض للإبعاد من الجزائر عام 1832 م بعد مشاركته في المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي حيث استغل ذلك في حضور الدروس بجامع الزيتونة ثم عاد بعد ذلك إلى الجزائر و التحق بمقاومة أحمد باي بقسنطينة حيث تولى الكتابة عنده إلى غاية سقوط المدينة في يد الفرنسيين بعد الحملة الثانية عام 1837 م.²

التحق أحمد الشريف الزهار بأخواله و أبناء عمومته بزاوية الحبشي قرب بوفاريك. ثم انظم بعدها إلى مقاومة الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري، حيث تولى كتابة سر الأمير إلى أن حلت كارثة الزمالة في ماي 1843 م.³ فذهب إلى المغرب حيث مكث هناك حوالي

ترجمة علمائها و أدبائها، نشر المكتبة المصرية بالجزائر، 1937، ص 92.

⁴- أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 10، ينظر أيضا، نور الدين عبد القادر، المرجع نفسه، ص 210

-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي ترجم مؤرخين و رحالة جغرافيين، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1999، ص 515.

⁵- نور الدين عبد القادر، المرجع نفسه، ص 210.

⁶- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تحقيق وتعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1982 ص 12.

⁷-رقية شارف، الواقع الاقتصادي للجزائر من خلال نماذج لمؤرخين جزائريين نهاية القرن 12 هـ/ 18 م وبداية القرن 13 هـ/ 19 م في كتاب المؤسسات والحراك الاجتماعي في الجزائر وتونس (17-

19 م)، الجزء الثاني، جمع وتنسيق فاطمة الزهراء قشي، منشورات مخبر تاريخ، تراث و مجتمع، دار بهاء للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر 2018، ص 137.

⁸-يعد الخزناجي أحد الوظائف السامية فصاحبها يعتبر بمثابة الوزير الأول وهو من بين المرشحين لتولي منصب الداي للمزيد حول الخزناجي و الوظائف السامية الأخرى ينظر على سبيل المثال:

-الغالي الغربي، "السلطة و مراكز القوة بالجزائر العثمانية على عهد الدايات 1671-1830، في كتاب دراسات وشهادات مهدات إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله" جمع و إخراج ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2000.

¹ - أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، ص 8. أنظر أيضا، نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، 1965، ص 210.

² -محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال أثارهم المخطوطة و المطبوعة، الجزء الأول، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، ص 184.

³ -أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791) و خلاصة مفصلة عن تاريخ الجزائر في العصر التركي و

ساميا تمثل في منصب الكاتب الأول "مقطاعي"⁹ ويبدو أن هذا ساعد حمدان بأن يتبوا مكانة مرموقة ويصبح من جملة أعيان وكبراء مدينة الجزائر.¹⁰

زار حمدان بن عثمان خوجة عدة بلدان إسلامية منها تونس ومركز الخلافة إسطنبول وغيرهما. كما أنه زار عدة دول أوروبية كإنجلترا، بلجيكا، فرنسا وغيرهم. هذا ما جعله يثري معلوماته ويوسع مداركه وأفكاره حيث عرف موازين القوى الدولية آنذاك وأنها تميل في كفة الأوروبيين¹¹، وفي خضم هذه الزيارات فإننا نجد أنه قابل عدة شخصيات مثل الباي حمودة باشا حاكم تونس، وعلى هذا الأساس فإن حمدان بن عثمان خوجة يعد من بين الشخصيات القلائل التي تمتعت بثقافة وإطلاع واسعين. كل هذا ساعده في كتابة عددا من الوثائق والمؤلفات التي ساهمت في إثراء التاريخ الجزائري.¹²

⁹ - رئيس الكتاب إحتل منصب الخوجة باشي، يشرف على سجل محاسبات الدولة وسجل القوانين العسكرية المحتوية على أسماء وألقاب ودرجات كل عسكري، وكان يرأس الكتاب الثلاثة الآخرين، وكان عليه معرفة القوانين الأساسية والتاريخ وحقوق الناس الشرعية، مما جعله في مرتبة مستشار الداي الأول، ينظر:

-حرفوش عمر، الإدارة الجزائرية في العهد العثماني "الإدارة المركزية نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2009، ص 175.

¹⁰ - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 11، ينظر أيضا:

-ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 487.

-عبد القادر بكاري، منهجية الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1830-1519)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران 2015-2016، ص 304

¹¹ -ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص 489.

¹² -عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائري و تونس و ليبيا 1816-1871، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، تونس، 1985، ص 34.

عاصر حمدان بن عثمان خوجة فترة الداي حسين و كان من المقربين إلى هذا الداي فقد كلفه بمهمة البحث عن الأغا إبراهيم من أجل إعادة تنظيم الجيش بعد الهزيمة في معركة إسطاوالي في 14 جوان 1830 م¹³، وبعد الاحتلال نجد أن حمدان بن عثمان قد لعب أدوارا أخرى حيث أنخرط في العمل السياسي والإداري في الوقت نفسه حيث استغل ذلك الأمر من أجل الدفاع عن بلده¹⁴، وقد اضطر في النهاية نتيجة المضايقات الفرنسية التوجه إلى القسطنطينية وتوفي هناك ما بين 1840 و 1845 م¹⁵.

2-حول كتاب الزهار:

2-1- تأليف تاريخي أم مذكرات شخصية:

يبدو أن لفظة "مذكرات" التي وردت كعنوان لكتاب الزهار هي من وضع محقق هذا الكتاب "أحمد توفيق المدني، ولم تكن من اختيار المؤلف نفسه، فهذا الكتاب هو عبارة مؤلف تاريخي وهو في الأصل مسودة لم تبيض بعد فقد كتبه الزهار في دفتر كان يستعمل في ضبط الحسابات¹⁶. ويبدو أن الظروف لم تسمح له بإكمال هذا الكتاب بدليل تركه لحوالي ثلاثة عشر صفحة فارغة دون تقييد في بداية هذا الكتاب¹⁷.

ورغم هذا فإن معظم ما ورد في هذا الكتاب تنطبق عليه لفظة "مذكرات" كعنوان. وفي بعض الأحيان يتحول إلى سيرة ذاتية لمؤلف الكتاب أحمد الشريف الزهار. فهو عبارة عن تسجيل لوقائع سمع عنها. وتحليل لأحداث شاهدها. وأحكام وأراء أطلقها. ومعلومات عن الفترة خبرها¹⁸، ونجد العديد من الشواهد على ذلك بين ثنايا هذا الكتاب تدل على هذا

¹³ -حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 32.

¹⁴ - أبو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص 169.

-حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، ص 42.

¹⁶ -أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا... ص 93

¹⁷ -ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 516.

¹⁸ -أبو عمران الشيخ وآخرون، المرجع نفسه، ص 259.

الطرح، منها سفر المؤلف إلى الحج عام 1818م وقد ذكر ذلك على هذا النحو "وفي هذه السنة ذهب الناس أفواجا إلى الحج منهم الفقير إلى ربه"¹⁹.

و في سياق كلامه عن الحج ذكر لنا الزهار حدثا سمع عنه و هو قضية عزل الباي أحمد المملوك (1818)²⁰، حيث ورد كلامه عن هذا الحدث كما يلي، "وبعد سفرنا إلى الحج ذكرنا لنا أنه عزل باي قسنطينة"²¹. كما أنه ورد في المذكرات ما يدل على أن الزهار كان مقربا من السلطات بدليل أن آغا العرب استعان به من أجل مساعدة كاتبه في جرد الأعراب و تسليمهم أجورهم "...و كنت أنا قادما من البستان في ذلك الوقت فأخذني آغا معه من باب البلد لكي أعين كاتبه في تجريد الأعراببعد اتمام ذلك بعث لي آغا خمسة دورو منها أجرة ما جردت لهم في اليوم الأول"²².

وتعد الأخبار حول الأحداث التي جرت قبيل و بعد الاحتلال من أهم ما تم رصده في هذا الكتاب، ذلك أن الزهار كان شاهد عيان بل شارك في بعضها باعتباره أحد الفاعلين-كان نقيبا لأشراف الجزائر- فقد ذكر مثلا أنه قام بجرد المدافع و المعدات الموجودة في برج مولاي حسن بعد الهزيمة في معركة الإسطاوالي في 14 جويلية 1830م²³. و نافلة القول فإن هناك العديد من الشواهد

¹⁹ - أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص 144.

²⁰ - تولى أحمد باي المملوك بابل الشارقة لمدة ستة أشهر في عام 1818م، و بعد تولى الداي حسين حكم الجزائر قام بعزله عن حكم البابل و قام بنفيه إلى مازونة، ينظر:

-العنتري محمد صالح، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مرجعة و تقديم و تعليق د. يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 85.

-VAYSSETES. E. histoire des derniers beys de Constantine et de l'est algérien (depuis 1793 jusqu'à la chute de hadj-Ahmed), présentation chehrit kamel, édition grand Alger livre, Alger, 2005. P141.

²¹ - أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص 144.

²² - نفسه، ص 170.

²³ - نفسه، ص 173.

التي لا يتسع المقام لذكرها كلها تدل على أن أحمد الشريف الزهار من أهم مؤرخي الفترة العثمانية²⁴

2-2- منهجية الزهار في تناول الأحداث:

إن كتاب أحمد الشريف الزهار عبارة عن تقايد شخصية تناول من خلالها جزءا من تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية²⁵ و حسب أحمد توفيق المدني فإن ما وصلنا من هذا الكتاب هو القسم الأول فقط. أما القسم الثاني فد ضاع نتيجة تقاسم أولاد أحمد الشريف الزهار لباقي الأقسام. و لم يتبق إلا القسم الذي بين أيدينا و الذي تسلمه أحمد توفيق المدني من السيد محمود الشريف ابن أحمد الشريف الزهار²⁶.

كتب أحمد الشريف الزهار تقايدده "بأسلوب بسيط لذيذ نجد فيها أحيانا كلمات أو عبارات من اللهجة الدارجة الشعبية"²⁷ حيث لم يتم التصرف في المصطلحات الواردة من طرف محقق هذا الكتاب فهو بالتالي حسب تعبير سعيدوني صورة صادقة عن أحوال الناس وطبيعة الأحداث التي كانت مثار اهتمام العامة²⁸.

و فيما يخص منهجية أحمد الشريف الزهار في كتابه فقد اعتمد على ما يسمى بالتاريخ الحولي حيث نقل لنا تاريخ حكام الجزائر بدءا من عهد الداي الحاج علي النقيس (1754-1766) انتهاء بعهد الداي حسين (1818-1830) و الأحداث المصاحبة للاحتلال و ما جرى من حوادث بعدها.

وهي تعبر عن شخصية أحمد الشريف الزهار المتفاعل مع الأحداث التي ينقلها حيث لم يتوانى في انتقاد ما يراه أهلا للانتقاد حسب رأيه أو يمدح و يثني على ما يراه أهلا للمديح والثناء. و يبدو أن تكوينه العلمي

²⁴ - ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 517.

²⁵ - نفسه، ص 516.

²⁶ - أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 10.

²⁷ - نور الدين عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص 211.

²⁸ - ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 517.

و ترأسه لنقابة الأشراف بالإضافة إلى ذلك و معاشته لوقائع الاحتلال جعلته ينقم لذلك الوضع من أجل ذلك نجده يطلق عبارات قاسية ضد بعض رجالات الدولة و منهم الداوي حسين آخر حكام الجزائر العثمانيين.²⁹

3- نظرة في كتاب المرأة:

ظهر كتاب المرأة في أكتوبر من عام 1833م، باللغة الفرنسية تحت عنوان لمحة تاريخية وإحصائية حول إيالة الجزائر و المعنون بالمرأة³⁰، وقد كان هذا الكتاب موجها إلى الرأي العام الفرنسي، من أجل فضح تجاوزات المحتل بالجزائر³¹. و يعد هذا الكتاب من أهم مصادر التاريخ الجزائري في العهد العثماني فهو عبارة عن نظرة شاملة لتلك الفترة في عدة نواحي سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية وغيرها³².

تضمن كتاب المرأة معلومات جد مهمة حول الجزائر العثمانية، و كذا الأحداث التي جرت بعد الاحتلال، و قد ألف حمدان كتابه بمنطق العارف المحيط بالمعلومات التي يكتبها فهو في كل مرة يذكر بهذا الأمر "إن معرفتي لأنحاء هذا البلد ووضعي الاجتماعي في مدينة الجزائر مكثاني من تقديم صورة صادقة، كما أنني اعتمدت في ذلك على معرفتي لأحوال الإنسانية بصفة عامة"³³، وفي سياق بداية كلامه عن الداوي حسين أشار إلى أن يعرف طبع هذا الداوي ولذلك يستطيع القول بأنه "من ذلك الأصل التركي العريق"³⁴.

لقد كان هذا الكتاب موجها إلى الرأي العام الفرنسي. لذا نجد أن حمدان ضمن كتابه العديد من الخطابات من أجل إقناع النخبة المثقفة و الحاكمة

بفرنسا³⁵ وقد كانت تلك الخطابات تستفز ما كانوا يؤمنون به من أفكار ومن بين ما ورد في ذلك قوله، "...إن المدنية الحقيقية لا تكون بالكلام فقط، ولا يمكن أن تطبق إلا بواسطة أناس مجربين يميزون بين احترام الإنسان و مصالحهم..."³⁶، وقوله كذلك "إن قضية الجزائر خطيرة مادامت تتعلق بحياة أمة"³⁷

تميز أسلوب حمدان خوجة في كتابه المرأة بالسهولة. حيث نجد أنه حاول من خلال كتابه تقديم حجج و براهين حول كل ما يقوله. فقد جاء بتفاصيل كثيرة حول عدة قضايا، وقد ذكر في معرض كتابه العديد من الوقائع التي تدل على أنه كان من صناع الحدث على أعلي مستوى منها حديثه مع الآغا إبراهيم وكيف أسرله خطة وضعها من أجل هزيمة الفرنسيين وغيرها³⁸.

يمكن اعتبار كتاب المرأة مذكرات شخصية فهو عبارة عن معطيات جادت بها قريحة المؤلف مما عاشه و عايشه، و معلومات استقاها مما خبره، و تحاليل و أحكام تعبر عن وجهة نظره، وقد رتب أفكاره ترتيبا منطقيا من أجل إقناع متلقى هذا الكتاب، فقد التزم بالدقة و الصدق³⁹ فكان في كل مرة يستشهد على أقواله في العديد من القضايا التي كان يطرحها كقوله مثلا، "...ومكاني في مدينة الجزائر هي التي مكنتني من أن أقدم هذه التفاصيل بدقة..."⁴⁰.

و فيما يخص موضوع الداوي حسين فإن حمدان بن عثمان خوجة وبحكم أنه كان أحد رجالاته فقد تكلم عنه بإسهاب حيث أفرد له عنصرا خاصا به وقد جاء بعنوان: عن داخل الإيالة وبعض الملاحظات

³⁵-ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 493.

³⁶-حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، ص 47.

³⁷-ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص 493.

³⁸-نفسه، ص 193. ينظر أيضا:

-عبد القادر بكاري، مرجع سبق ذكره، ص 305.

³⁹-ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص 493.

⁴⁰-حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، ص 130.

²⁹-أبو عمران الشيخ وآخرون. مرجع سبق ذكره، ص 259.

³⁰-عبد الجليل التميمي، مرجع سبق ذكره، ص 34.

³¹-أبو عمران الشيخ وآخرون. المرجع نفسه، ص 170.

³²-ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص 493.

³³-حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 42.

³⁴-نفسه 174.

السماح للجنود الانكشارية بإقامة علاقات غير شرعية⁴⁵ وقد جاء كلام أحمد الشريف الزهار حول هذه القضية على هذا النحو "و أول أعماله الخسيصة وأي خساسة أنه بنى قنطر الزنا بعدما هدمه من قبله وأباحها لأبناء جنسه"⁴⁶

واصل أحمد الشريف الزهار انتقاده للدائي حسين و لسياسته حتى أنّ القارئ يحس كأن الكاتب يتصيد زلاته ففي سياق كلامه حول المفاوضات التي جرت بين المبعوث الفرنسي لإيجاد حل لقضية فيننا نجد أن الزهار أرجع سبب فشل المفاوضات إلى تعنت الداي حسين "فاشدد غضب الباشا و نفخ فيه الشيطان و أخذه العجب و الكبر و ظن أن لا يغلبه أحد و قال له لا نجعل الصلح بيني و بينكم فضلا أن أعطيكم رجلا من عندي...وقد وقع للناس من ذلك حزن كبير و أهل المعرفة قالوا الآن أخذنا"⁴⁷

و في السياق نفسه فإنّ الزهار يروي لنا قضية المفاوضات بعد مجيء الحاج خليل⁴⁸ حيث يرجع سبب فشل أي حل إلى الداي حسين بسبب عناده و في هذا الشأن يقول "فلم ينصت لكلامه و هو لا يزيد عدو الله إلا عنادا و تجبرا"⁴⁹ وقد علق محقق الكتاب أحمد توفيق المدني على هذه الكلمة و قال في الهامش أن

⁴⁵ - كان عدد المومسات معتبرا بمدينة الجزائر فقد بلغ عددهن في بعض الأحيان حوالي 3000 مومسة، حول هذا الموضوع ينظر: ROZET, M., Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique du nord, tome 3, paris, Bertrand, 1833. P113

- أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 144.⁴⁶

⁴⁷ - أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص 167

⁴⁸ - الحاج خليل مفتي الجزائر السابق بعثه السلطان العثماني من أجل توقيف الحرب الموشكة بين الجزائر وفرنسا لكنه لم يوفق في مسعاه ينظر:

صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004، ص 247.

⁴⁹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 167.

حول الداي حسين آخر دايات الجزائر⁴¹ كما ذكره في معرض حديثه حول بعض الأحداث التي كان الداي حسين حاكما فيها وقد جاء ذلك في القسم الثاني من كتاب المرأة حيث أشار له منذ بداية الحصار الفرنسي إلى غاية توقيع الداي لمعاهدة الإستسلام في 05 جويلية عام 1830 م⁴².

4-الداي حسين في كتاب الزهار:

تناول أحمد الشريف الزهار سيرة الداي حسين في 35 صفحة مع الإشارة إليه في مواضع أخرى في خاتمة كتابه، و الغريب في هذا تناول ذلك التناقض الصارخ في الحكم على الداي حسين فقد قام بتقديمه في أحسن صورة "وكان حسين باشا وزيرا ثالثا يكتفى بخوجة الخيل و كان رجلا عاقلا متدينا و في أول أمره كان بعض وزرائه يتصرفون و جميع ما وقع من فساد وظلم فهو منهم"⁴³

بعد هذا التقديم بدأ أحمد الشريف الزهار بانتقاد الداي حسين و سياسته بشكل غريب جدا حتى أنه استعمل ألفاظا نابية عبرت عن مدى استياءه من سياسة الداي حسين وقد لاحظت غطاس عائش هذا التناقض في تناول الدايات بصفة عامة فأشارت إلى أنها لم تستطع التمييز بين موقفه كإخباري و موقفه كتنقيب لأشراف الجزائر فهو ناظم على بعض الحكام وتارة أخرى معجب بالبعض الآخر⁴⁴.

و من الأمور التي جعلت أحمد الشريف الزهار يوجه انتقادات لاذعة لسياسة الداي حسين هي قضية السماح الداي حسين ببناء حارة خاصة بالمومسات و

⁴¹ - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 161.

⁴² - نفسه، ص.ص 187-226.

⁴³ - أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص 141.

⁴⁴ - غطاس عائشة، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 170-183 مقارنة اجتماعية- اقتصادية، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، 2007، ص 87.

الداي حسين لو انتصر لأصبح المجاهد الكبير و البطل العظيم⁵⁰.

إلى أسرة كريمة كما يتمتع بثقافة واسعة و قد خدم الإيالة أكثر من ثلاثين سنة⁵⁴

ويرجع سبب تعنت الداوي أنه اغتر بما وعده رجال القبائل وأنه سوف يرسلون له الآلاف من الجنود من أجل صد أي عدوان من الجانب الفرنسي وقد لام الزهار الداوي حسين وأكد جهله و عدم تقديره للخطر المحقق حتى أنه قال كيف له بمقابلة جيشا قويا كالفرنسيين من غير عدد و عدة⁵¹، و في موضع آخر الزهار واصل في انتقاد الداوي على أنه لم يقدر تلك العواقب على هذا النحو "و مع هذا كله و الباشا نائم كأنه لم يكن عنده عدو"⁵²

ورغم أن حمدان خوجة كتب كتابه بعد رحيل الداوي حسين إلا أنه في كل مرة حاول تبرير المواقف أو الإجراءات التي اتخذها الداوي حسين حين كان على سدة الحكم و منها تذكير الجانب الفرنسي أن هذا الداوي لم يقم بالإخلال بأي التزام أو نقض أي معاهدة من المعاهدات مع الدول الأوروبية وقد جاء كلامه على هذا النحو "وفاؤه فيما يخص بالالتزامات معروف في كامل أنحاء أوروبا و لما أنه لا يوجد بلاط واحد اشتكى من أن حسين باشا قد خرق المعاهدات التي أبرمها سواء مع القوي أو مع الضعيف"⁵⁵

و المفارقة أن الزهار ختم كلامه حول هذا الداوي بكلام جميل وقد جاء على هذا النحو "و حسن باشا هذا آخر ملوك الترك بالجزائر قد كان سوي النفس لا يتزعزع لعظائم الأمور و لا بتضعضع لنوائب الدهر و أما سيرته في أهل البلد و أهل مملكته فقد سار فيهم سيرة حسنة لم يسرها من تقدمه من لين الجانب و سهولة المجاب و العفو...و كان تقيا محبا للصالحين و لمن انتسب إليهم حتى أنه كان يغتر بأهل البدع فيحسن اعتقاده فيهم و يكرمهم و يستبشر بمقاتلتهم و كان الواجب عليه التغير على أهل البدع و زجرهم على فعلهم القبيح...."⁵³

وفي سياق الدفاع عن الداوي حاول تبرير قضية المروحة و النواحي الخفية في هذا القضية منها محاولة القنصل دوفال⁵⁶ الاستيلاء على الأموال بدل ارجاعها إلى اليهودي بكري حيث قال في هذا الصدد "و لكنني أعرف أن كثيرا من المناورات وقعت بشأن هذه القضية حتى أن حسين باشا قرر أن يرسل بنفسه إلى الحكومة الفرنسية دون أن يعلم بأن أعمال غير لائقة قد تمت في هذا الموضوع"⁵⁷

وقد أرجع حمدان خوجة سبب الحرب "الاحتلال" إلى الحاشية و الأعوان الذين كانوا يحطون به بالإضافة إلى الحظ الذي خانته بما أنه كان آخر حكام العهد العثماني بالجزائر "أما عن الحرب المشؤومة التي أجبرته على ترك الحكم فإننا سنرى فيما بعد و

5- نظرة حمدان بن عثمان خوجة إلى الداوي حسين:

لقد كانت نظرة حمدان خوجة إلى الداوي حسين مخالفة تماما لما كان عليه أحمد الشريف الزهار و يبدو أن أصوله العثمانية و مناصبه الإدارية قد كان لها دورا في المواقف المتخذة من طرفه في حق الداوي حسين ففي بداية الحديث عنه قال عنه "و حسين داي هو آخر داي تركي في الجزائر و ينتهي هذا الرجل الفاضل

⁵⁴- حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 173

⁵⁵- نفسه، ص 174

⁵⁶- أشار قنان إلى أن وظيفة القنصل في أوروبا هي وظيفة تجارية بالدرجة الأولى وقتئذ فهذا المنصب كان يباع و يشتري خاصة في فرنسا و من هنا فإن مفاوضاتهم تأخذ صبغة رجل أعمال، حول هذا الموضوع ينظر:

- جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1830-1619)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

1987، ص 41

⁵⁷- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، ص 179.

⁵⁰- نفسه، ص 186

⁵¹- نفسه، ص 167.

⁵²- نفسه، ص 171.

⁵³- أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص 176

بالتفصيل أنّ الحظ إنما خانه بسبب أخطاء وكرائه والميليشيا كما أنّ حاشيته كانت تشتمل على الكثير من الأشخاص ممن ليس لهم مبادئ و لا تجربة و لا شجاعة⁵⁸.

خاتمة:

سمحت لنا هذه الدراسة بتسليط الضوء على أحد أنواع المصادر. وتتمثل هذه المصادر الكتابات الشخصية. حيث بالإمكان الاعتماد عليها من أجل إعادة كتابة التاريخ. وفي ظل نقص المصادر المتعلقة بالفترة العثمانية، فإن الاعتماد على هذا النوع من المصادر يعتبر ضرورة لا مفر منها باعتبار أن الكتابة الشخصية عادة ما تتضمن معلومات لا نجدها في غيرها خاصة إذا كان صاحبها مقربا من السلطة الحاكمة.

يمكن اعتبار مذكرات أحمد الشريف الزهار وكتاب المرأة لحمدان بن عثمان خوجة كتابات ومذكرات شخصية كونهما ضمنا كتابتهما معلومات شخصية منها ما تعلق بمشاركتهما في بعض الأحداث كالمقاومة سياسيا بالنسبة لحمدان خوجة أو الانخراط في العمل المسلح بالنسبة لأحمد الشريف الزهار بالإضافة إلى الآراء التي قاما بإبدائها إزاء الأحداث التي مرت أمامهما.

يشارك حمدان بن عثمان خوجة و أحمد الشريف الزهار في أنهما عاشا في الفترة نفسها تقريبا فالفرق بينهما كان في حدود ثماني سنوات لصالح حمدان، كما أنهما كانا موظفين في الدولة الجزائرية، وقريبين من جدا من بعض الموظفين السامين منهم آغا العرب إبراهيم صهر الداوي والغريب أنه لا أحد منها أشار إلى الآخر في كتابتهما رغم أنها تعاملتا مع الآغا إبراهيم.

- يبدو أنّ أحمد الشريف الزهار أراد أن يبدو موضوعيا في طرحه من أجل ذلك وقع في تناقض غريب عند

تناوله شخصية الداوي حسين فهو تارة شخصية حسنة هادئة وورعة ثم شخصية عنيدة بألفاظ غريبة كعدو الله وغيرها.

إن هذا الانتماء إلى جماعتين مختلفتين جعل الكثير من الملاحظات المقدمة حول الداوي حسين تتسم بالتناقض والذاتية بين الطرفين. حيث يظهر نوع من الدفاع عن شخصية الداوي حسين في كتاب المرأة نلاحظ ذلك من خلال محاولة حمدان بن عثمان خوجة إيجاد بعض الأعداء للعديد من المواقف التي كان الداوي طرفا فيها. أما أحمد الشريف الزهار فقد كان انتقاضه وانتقاصه لشخصية الداوي غالبا مرجعا بسبب نكبة الجزائر إلى الداوي بسبب عدم توفيقه في تسيير أهم محطة في تاريخ الجزائر.

المصادر والمراجع:

- أبو عمران الشيخ و آخرون، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995

- التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائري و تونس و ليبيا 1816-1871، منشورات مركز الدراسات و البحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، تونس، 1985.

- الزهار أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980.

- الغربي الغالي، "السلطة و مراكز القوة بالجزائر العثمانية على عهد الدايات 1671-1830، في كتاب دراسات وشهادات مهدات إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله" جمع و إخراج ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2000.

- بسكر محمد، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة و المطبوعة، الجزء الأول، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر.

- بكاري عبد القادر، منهجية الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1519-1830)،

⁵⁸ - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 174

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث،
جامعة وهران 2015-2016.

-حرفوش عمر، الإدارة الجزائرية في العهد
العثماني "الإدارة المركزية نموذجا، مذكرة لنيل شهادة
الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2009.

-حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تحقيق وتعريب
محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
الجزائر 1982.

-سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي
للغرب الإسلامي ترجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، دار
الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1999.

-شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة
العثمانية بالجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في
التاريخ جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005-2006.

-عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830،
دارهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004.

-غطاس عائشة، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر
170-183 مقارنة اجتماعية-اقتصادية، طبع المؤسسة
الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، 2007.

-قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-
1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987.

-العتري محمد صالح، فريدة منيسة في حال دخول
الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها أو تاريخ
قسنطينة، مرجعة و تقديم و تعليق ديجي بوعزيز،
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

-ROZET, M., Voyage dans la régence d'Alger ou
description du pays occupé par l'armée française
en Afrique du nord, tome 3, paris, Bertrand, 1833.

-VAYSSETES. E. histoire des derniers beys de
Constantine et de l'est algérien (depuis 1793
jusqu'à la chute de hadj-Ahmed), présentation
chehrit kamel, édition grand Alger livre,
Alger, 2005. P141.